نسبة الحجّة إلى ابن خالويه
افتراءٌ عليه

الأستاذ صبحي عبد المنعم سعيد

دأبَ بعضُ المحدَثين في نسبةِ كتاب **الحُجّة في قراءاتِ الأئمة السبعة** إلى الإمـــام اللغوي أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خـالويه ، وأشهر هؤلاء المستشرق بروكلمان الذي ذكر عنوان الكتاب ضمن مصنفات ابن خالويه ، وأشار إلى نسخته اليتيمة في دار الكتب المصرية[1] . ومن هؤلاء المحدثين الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي الذي اتخذ كتاب **الحجة** مصدراً من مصادر كتابين له : الأول بحثه الذي نال به درجة « الدكتوراه » : **أبو علي الفارسي وأثره في القراءات والنحو** [2] ، وقد عقد في هذا البحث فصلًا بعنوان **بين الفارسي وابن خالويه في الاحتجاج**[3] ، واعتمد لبيان آراء ابن خالويه كتاب **الحجة** وحده ! وثاني هذين الكتابين **رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات** . أما الدكتور عبد العال سالم مكرم فقد أكد هو أنه اتخذ كتاب **الحجة** مصدراً في بحثه الذي نال به درجة « الدكتوراه » : **القرآن الكريم وأثره في الدراسات**

---

(١) بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ترجمة د. النجار ، القاهرة ، ١٩٦١ م ، ج ٢ ، ص ٢٤١ . وأيضاً Fuat Sezgin, **Geschichte des Arabischen Schriftung**, Leiden, 1967, band II, p. 18 .

(٢) القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ٣١٠ وما بعدها

(٣) القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٤٢ ، ٦٠ ، ٦١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

النحوية[١] ، ولكنه لم يكتف بذلك بل زاد فحقق كتاب **الحجة** وقدم له موثقاً نسبته إلى ابن خالويه ، موضحاً سبب عنايته بالكتاب .

وقبل أن يتم طبع كتاب **الحجة** نشر د. عبد العال سالم مقدمة التحقيق ملخصة في مجلة **مجمع اللغة العربية بدمشق** بعنوان : **كتاب الحجة لابن خالويه في القراءات السبع ـ توثيقه ـ منهجه**[٢] ، ثم نشرت هذه المقدمة كاملة في **مجلة اللسان العربي** بعنوان **ابن خالويه اللغوي ونسبة كتاب الحجة إليه**[٣] ثم نشرها مرة ثالثة في صدر كتاب **الحجة** نفسه[٤] ، ولقد نشر أدلة التوثيق مرة رابعة في **مجلة اللسان العربي**[٥] شارحاً إياها في رده على ناقده الأستاذ محمد العابد الفاسي كما سنذكر بعد .

والدكتور عبدالعال سالم يبدو، من خلال مقدمته مكررة النشر، موقناً تمام اليقين بصحة نسبة كتاب **الحجة إلى** أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه فهو يقول : « وبعد جهد استغرق ما يقرب من عامين في دراسة هذا الكتاب ودراسة مؤلفات ابن خالويه استطعت أن أصدر حكمي في ثقة لا تعرف التردد وبإيمان لا يعرف الشك أن هذا الكتاب نسبته إلى ابن خالويه صحيحة » . ثم يسوق محقق الحجة بعد هذا القول ، الذي حسبه فصلاً ، أدلة ثمانية بنى عليها يقينه هو .

وقد طالع الأستاذ محمد العابد الفاسي أدلة توثيق الحجة فلم يقتنع بها وكتب

---

(١) القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٨ ، وقد خلا فهرس مراجع الكتاب من ذكر كتاب الحجة .

(٢) المحرم ١٣٩٠ هـ نيسان «ابريل» ١٩٧٠ م ص ٣٤٢ – ٣٥٧

(٣) الرباط ، كانون الثاني «يناير» ١٩٧١ ، ج ١ ص ٥٠٢ – ٥٢٠

(٤) **الحجة في القرءات السبع** ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٣ – ٣٢

(٥) حول نسبة كتاب الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ، مجلة اللسان العربي ، الرباط كانون الثاني «يناير» ١٩٧٢ ، ج ١ ، ص ٣١٥ – ٣٢٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في مجلة اللسان العربي مقالاً بعنوان **نسبة الحجة إلى ابن خالويه لا تصح**[١] ، بناه على نقد أدلة التوثيق ، ثم قال بعد ذلك : « والذي يجعلنا نميل إلى نفي هذه النسبة هو أن جميع المصادر التي ترجمت ابن خالويه لم تذكر في قائمة كتبه تأليفه الحجة ، ولم يعرج أصحاب المعاجم والفهارس وطبقات القراء عليه ... ».

وقد ظل د. عبد العالم سالم مقيماً على يقينه ، ورد على ناقده بمقال شرح فيه أدلته الثمانية التي نجملها فيما يلي معتمدين مقـــاله الآخر[٢] الذي يعبر عن يقينه الثابت بصحة نسبة كتـاب « الحجة » إلى « أبي عبـد الله الحسين بن أحمـد ابن خالويه » :

١ – تلمذة ابن خالويه لابن مجاهد فرضت عليه أن يحيا في الدراسات القرآنية وقد ألف **الحجة في القراءات السبع** ، لينافس به كتاب **الحجة** لأبي علي الفارسي ، وان عدم ذكر **الحجة** لابن خالويه في كتب الطبقات يرجع إلى أن الكتاب في (القراءات) فاستغنوا بذكرها عن كلمـة **الحجة** . ومن الجلي أن أصحاب كتب الطبقات وابن خالويه نفسه أشاروا إلى أن له كتاباً في (القراءات) فأين ذهب هذا الكتاب ؟

لا يمكن أن يكون كتاب **القراءات** المصور بمعهد المخطوطات بالجامعـة العربية « رقم ٥٢ قراءات » ؛ لأن منهج ابن خالويه فيه يقوم على الاستطراد ، والإطناب ، إذ يتحـدث عن تفسير الآيات ، وأسباب نزولهـا ، ويحشد قصصاً عديدة في مناسبات مختلفة ، وليست القراءات فيه والاحتجاج لهـا إلا جزءاً يسيراً من هذا المنهج ، **فكتابه في الحقيقة كتاب تفسير لا قراءات ..... إن الذي يطمئن إليه القلب ، ويرتضيه العقل أن كتاب القراءات المنسوب إلى ابن خالويه في كتب الطبقات هو كتاب الحجة نفسه** ..... وأكبر

(١) الرباط ، كانون الثاني «يناير» ١٩٧١ ، ج ١ ، ص ٥٢١ – ٥٢٣

(٢) المرجع الأسبق .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الظن أن الكتاب كان عنوانه **الحجة في القراءات السبع**[١] فعند النسخ سقطت كلمة (الحجة) ، وهو أمر يحدث كثيراً على يد النساخ ، أو اختصر عنوانه فأصبح « **القراءات** » .

٢ - - كتب الطبقات ليست حجة قاطعة نرجع إليها في نفي نسبة الكتاب إلى « ابن خالويه » ، حيث لم تشر إليه ، لأن هذه الكتب نفسها أغفلت ذكر كتب لابن خالويه منها كتاب **أسماء الله الحسنى** الذي أشار إليه ابن خالويه نفسه في كتابه : **إعراب ثلاثين سورة** ... إن ابن خالويه قد أشار [إلى الحجة[٢]] في كتابه **إعراب ثلاثين سورة** عند تعرضه للقراءات في قوله تعالى : « أنعمت عليهم » قال : « وأجمع القراء على كسر الهاء في التثنية إذا قلت عليهما ، قال الله عز وجل : « يخافون أنعم الله عليها » إلا يعقوب الحضرمي فإنه ضم الهاء في التثنية كما ضمها في الجمع ، **وقد ذكرت علة ذلك في كتاب القراءات**[٣] » **وهذا التحليل تجده في كتاب الحجة** .

٣ — « إن التسمية بالحجة قد تكون من عمل المتأخرين ... على أن الغالب في مؤلفات القدامى أنهم يذكرون موضوعات كتبهم في مقدماتهم ، ولا يشيرون إلى أسمائها ... فعل ذلك ابن خالويه حينما ذكر في مقدمته ما نصه : « وأنا بعون الله ذاكر في كتابي هذا ما احتج به أهل صناعة النحو لهم [أي القراء السبعة] ... فكلمة (احتج) تجدها في مقدمة ابن خالويه على حين تفتقدها في مقدمة الفارسي ... »

٤ — إن من الأدلة على أن **الحجة** لابن خالويه دليل التنافس العلمي في هذا العصر ، ان أهم ما كان يشغل ذهن ابن خالويه هو العلوم القرآنية ، وإذا نافس فإنه ينافس في مجالها .

---

(١) اختار د. عبد العال هذا العنوان لمطبوع كتاب الحجة الذي حققه .

(٢) ما بين الحاصرتين من تصرفي بدلالة السياق ، ونهاية الفقرة .

(٣) إعراب ثلاثين سورة دار الكتب ، ١٩٤١ ، ص ٣٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٥ – إن[١] من أوضح أدلة التوثيق لهذا الكتاب ، ونسبته إلى ابن خالويه تشابه أسلوبه ومنهجه مع مؤلفات ابن خالويه الأخرى ، وهذا التشابه محصور فيما يلي :

ا – الإيجاز والاختصار .

ب – من الظواهر إذا تحدث عن مسألة وحرر القول فيها، ثم عرضت مسألة تشبهها لايعيد القول فيها وإنما يحيل إليه ، وهذه الظاهرة واضحة في **الحجة** ، وفي كتابه **القراءات** وفي **إعراب ثلاثين سورة** .

حـ – الإكثار في هذه الكتب من النقل عن ابن مجاهد ، وابن الأنباري وغيرهما من الأعلام الذين سبقوه[٢] .

٦ – الأعلام الذين سجلهم ابن خالويه في كتابه كانوا أسبق منه زمناً .

٧ – تقارب بعض النصوص في مؤلفات « ابن خالويه » مع بعض نصوص الحجة .

٨ – تاريخ نسخ الحجة قديم لأنه نسخ سنة ٤٩٦ هـ ، وهو تاريخ قريب من عصر المؤلف بمائة وستة وعشرين عاماً على حين نجد كتاب **القراءات** المصور بمعهد المخطوطات نسخ سنة ٦٠٠ هـ .

انتهى هنا مختصر أدلة د . عبد العال سالم التي ساقها في مقدمة تحقيق الحجة ، وفي مقاله الذي رد به على الأستاذ محمد العابد الفاسي ، غير أنه من حقه على كاتب

---

(١) انظر هذا الدليل كاملا في مجلة مجمع اللغة العربية – دمشق ، نيسان « ابريل » ١٩٧٠ ص ٣٥٠ ، ومجلة اللسان العربي ، الرباط ، كانون الثاني «يناير» ١٩٧١ جـ ١ ، ص ٥١٢ ، ٥١٣ ، ومقدمة كتاب الحجة ، بيروت ١٩٧١ ص ٢٠ ، ٢١

(٢) لم يصرح د. عبد العال سالم بهذه الفقرة في رده على الاستاذ محمد العابد الفاسي ، ولعله تبين أنها –على قوتها– حجة نفي لا إثبات فمواضع ذكر ابن مجاهد وابن الأنباري في كتاب ، الحجة في القراءات السبع لاتتجاوز مقدمة المحقق نفسه حسبما جاء في فهرس الأعلام الملحق بالكتاب ، ولقد عثرت على اسم ابن مجاهد في الصفحة ٣٤٦ ، والفقرة التي تضمنته موضوع نقاش في الصفحات التالية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذه السطور أن يضيف إلى ماسبق دليلاً[١] يراه د . عبد العال سالم حاسماً :

٩ – إن السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي صاحب **تاج العروس من جواهر القاموس** اعتمد الحجة مصدراً من مصادر معجمه الكبير ونص على ذلك في مقدمته : « والحجة في قراءات الأئمة السبعة لابن خالويه[٢] ».

وبعد ؛ فإن كاتب هذه السطور يعتقد أن هنا متسعاً للقول في رفض نسبة كتاب **الحجة** إلى الحسين بن أحمد بن خالويه ، وهذا القول يقوم على مادة كتاب **الحجة** نفسه وكتب ابن خالويه وأخص منها كتابه : **إعراب القراءات السبع وعللها** المشهور بـ كتاب القراءات[٣] .

أولا – ما اسم مؤلف **كتاب الحجة في قراءات الأئمة** ؟

يوجد في صدر مخطوطة كتاب **الحجة** مايلي : « كتاب الحجة في قراءات الأئمة السبعة ... للعلامة ... أبي عبد الله **الحسين بن خالد** بن خالويه ...[٤] » فمؤلف الكتاب هو **الحسين بن خالد** ، وليس الحسين بن أحمد ، وإذا كان هناك من أبدل **الحسن**[٥] من **الحسين** أو **محمد**[٦] من **أحمد** فإن مصادر القدماء جميعاً قد خلت من ذكر « خالد » عند تسمية الإمام اللغوي « ابن خالويه » . وياليت الذين نسبوا كتاب **الحجة** إلى « ابن خالويه » عُنوا بتحقيق اسم مؤلفه .

---

(١) هذا الدليل مسجل في رسالة خاصة بعث بها إلي الصديق د. عبد العال سالم في أغسطس ١٩٧٢

(٢) الكويت ١٩٦٥ ، الجزء الاول – تحقيق عبد الستار فراج ص ٧

(٣) القراءات. استانبول ، مراد ملا ٨٥ (نسخة مصورة مكبرة خاصة صورت بوساطة معهد المخطوطات العربية عن مصورته رقم ٥٢ قراءات) وهذا الكتاب تحقيقه جزء من رسالتي لدرجة الدكتوراه المسجلة بجامعة منشستر كانون الثاني ١٩٧٣

(٤) **الحجة في القراءات السبع** ص ٣٣ ، بيروت ١٩٧١

(٥) الثعالبي ، **يتيمة الدهر** – بتحقيق محمد محيي الدين ، ١٩٥٦ ، ج ١ ص ١٣٢

(٦) أبو الحسن القفطي ، **إنباه الرواة على أنباه النحاة** ، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتب ، ١٩٥٠ ج ١ ص ٣٢٤

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثانياً — مقدمة صاحب كتاب **الحجة** .

يقول الحسين بن خالد في مقدمته : « ... وبعد ، فإني تدبرت قراءات الأئمة السبعة ... فرأيت كلاً منهم قد ذهب في إعراب ما انفرد به من حرفه مذهباً من مذاهب العربية لا يدفع ... وأنا بعون الله ذاكر في كتابي هذا ما احتج به أهل صناعة النحو لهم ... معتمد فيه على ذكر القراءة المشهورة ومنكّب عن الروايات الشاذة المنكورة ، وقاصد قصد الإبانة في اقتصاد من غير إطالة ولا إكثار ، محتذيا لمن تقدم في مقالهم ، مترجماً عن ألفاظهم واعتلالهم ، جامعاً ذلك بلفظ بيّنٍ جذلٍ ومقال واضح سهل ، ليقرب على مريده ، وليسهل على مستفيده ، والله الموفق للسداد[١] ... »

فصاحب **الحجة** يصرح بأنه احتذى المتقدمين فأخذ عنهم اللفظ والعلة معاً ، وليس له شيء في كتابه غير الجمع بلفظ بين ومقال سهل .

أما الحسين بن أحمد بن خالويه فيقول في صدر **القراءات** : « هذا كتاب شرحت فيه إعراب قراءات أهل الأمصار ... ولم أعْدُ ذلك إلى ما يتصل بالإعراب من مشكل أو تفسير وغريب والحروف الشاذة ، إذ كنت قد أفردت لذلك كتاباً جامعاً ، وإنما اختصرته جهدي ليستعجل الانتفاع به المتعلم ويكون تذكرة للعالم . . . [٢] » وشتان ما بين قول ابن خالويه وقول ابن خالد صاحب **الحجة** ، فابن خالد يقصر همه على ذكر ما احتج به أهل صناعة النحو للقراء السبعة ، ويترجم عن ألفاظ القدماء وعللهم ، أما ابن خالويه فيقول : « شرحت » بتاء المتكلم ، ليكون شرحه تذكرة للعالم . وهو في خلال شرحه يجهد أستاذه ابن مجاهد خصومة انتصاراً للقراء[٣] ولعل ابن خالويه كان في غنى عن تأليف

(١) **الحجة** في القراءات السبع ، بيروت ١٩٧١ ، ص ٣٨

(٢) القراءات مراد ملا ٨٥ ، ص ١ وأيضاً بطاقة معهد المخطوطات العربية في صدر مصورته رقم ٥٢ قراءات .

(٣) انظر الصفحات التالية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كتاب لايملك فيه لفظة ولا فكرة ؛ وكيف نصدق ذلك وهو صاحب **إعراب القرآن** ، **وإعراب ثلاثين سورة** ، **وإعراب القراءات السبع وعللها** ، **والبديع بحواشيه** ، **وشرح الفصيح** ، **وشرح مقصورة ابن دريد** ، **وليس** في خمسة مجلدات ضخمات ، وغير ذلك كثير ؟ ! .

وصاحب الحجة لايعرف قدر القراءات الشاذة فيصفها **بالنكارة** ، أما ابن خالويه تلميذ ابن مجاهد مسبع السبعة فلا يزيدعلى التسمية « والحروف الشاذة » لأنه على يقين أن صفة **الشذوذ** التي لحقت تلك القراءات إنما هي مضافة إلى اختيار ابن مجاهد ، وكيف يصف القراءات الشاذة **بالنكارة** وقد أملى كتابه **البديع** في قراءات القراء السبعة وإضافة يعقوب بن إسحاق الحضرمي إليهم[1] ثم جعل في **حواشي البديع** « الحروف الشاذة مخرجة باسم واحد فواحد[2] » ؟ أم كيف يصف ابن خالويه **بالنكارة** قراءات تشمل ماقرأ به أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، وشيبة بن نصاح ، والأعمش ، وابن أبي ليلى ، وحمران بن أعين ، والمغيرة بن أبي شهاب المخزومي وهو الذي يعلم علم اليقين أنهم شيوخ الأئمة السبعة المشهورين ، ويقرر ذلك بنفسه في كتابه المشهور بـ **القراءات** ؟ .

«وقرأ **نافع** على سبعين من التابعين منهم أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، وشيبة ابن نصاح[3] . . . » .

«وحدثني ابن مجاهد قال : قرأ **حمزة** على ثلاثة : الأعمش ، وابن ابي ليلى ، وحمران بن أعين . وما كان من قراءة الأعمش فعن عبدالله [يعني ابن مسعود] ، وما كان من قراءة ابن أبي ليلى فعن علي ـ رضي الله عنه ـ ، وما كان من قراءة حمران فعن أبي الأسود الدؤلي ؛ وأما **ابن عامر** فإنه أخذ قراءته عن المغيرة

---

(١) البديع ، شستربيتي ، دبلن ٣٠٥١ ، ورقة ٢/ب مصورة مكبرة خاصة تدرس ضمن رسائلي الجامعية المسجلة في جامعة منشستر ـ بريطانيا .

(٢) المرجع السابق .

(٣) مخطوطة القراءات ، استانبول مراد ملا ٨٥ ، ص ١٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ابن أبي شهاب المخزومي ، وأخذها المغيرة عن عثمان (١) .

إن ابن خالويه بريء من تهمة وصف قراءات هؤلاء الأئمة **بالنكارة** لأنه يعرف قدرهم ويعرّف الناس به ، بل إن المؤلف الذي يصف قراءات هؤلاء الأئمة بأنها **منكورة** هو غريب عن علوم القرآن ، لم يقرأ ما كتبه علماء القرنين الرابع والخامس فضلًا عن أن يكون واحداً منهم . يقول مكي بن أبي طالب :

«وقد ذكر الناس من الأئمة في كتبهم أكثر من سبعين ممن هو أعلى رتبة وأجل قدراً من هؤلاء السبعة . على أنه قد ترك جماعة من العلماء في كتبهم في القراءات ذكر بعض هؤلاء السبعة واطّرحهم : قد ترك أبو حاتم وغيره ذكر حمزة والكسائي وابن عامر ، وزاد نحو عشرين رجلًا من الأئمة ممن هو فوق هؤلاء السبعة . وكذلك زاد الطبري في كتاب القراءات له على هؤلاء السبعة نحو خمسة عشر رجلًا ، وكذلك فعل أبو عبيد واسماعيل القاضي (٢) » .

أما أبو الفتح عثمان بن جني معاصر ابن خالويه فيقول في صدر كتابه المحتسب :

« . . . فأتى ذلك على طهارة جميعه وغزارة ينبوعه - ضربين : ضرباً اجتمع عليه أكثر قراء الأمصار ، وهو ما أودعه أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد كتابه الموسوم **بقراءات السبعة** ، وهو بشهرته غانٍ عن تحديده ؛ وضرباً تعدى ذلك فسماه **أهل زماننا شاذاً ، أي خارجاً عن قراءة القراء السبعة المقدم ذكرها إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرائه ، محفوف بالروايات من أمامه وورائه** . . . ولسنا نقول ذلك فسحا بخلاف القراء المجتمع في أهل الأمصار على قراءاتهم . . . لكن غرضنا منه أن نرى وجه قوة مايسمى الآن شاذاً وأنه ضارب في صحة الرواية بجرانه ، آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه لئلا يُرى مُرَّى أن العدول عنه إنما هو غضٌّ منه أو تهمة له. ومعاذ الله وكيف يكون

(١) المرجع السابق ، ص ١٠

(٢) مكي بن أبي طالب حمود القيسي ٣٣٥-٤٣٧ هـ ، الإبانة عن معاني القراءات تحقيق د. عبد الفتاح شلبي ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٧٢٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا والرواية تنميه إلى رسول الله – ﷺ – ، والله – تعالى – يقول : « وما آتاكم الرسول فخذوه » ؟ . . . [١] ثم يمضي ابن جني في كتابه محتجاً لما شذ عن قراءات السبعة وغمض عن ظاهر الصنعة ، وقد أكد بهذا الصنيع ثقة أهل القرن الرابع بالقراءات التي اصطلح على وصفها بـ « الشواذ » .

وابن خالويه نفسه يحتج لشواذ القراءات في أحيان كثيرة ، ويرويها بأسنادها إلى أئمتها ، وينتصر لهم :

ا – «ومن نَوَّنَ ثمودا هاهنا وفي سائر القرآن، وهو الأعمش، جعله اسم رجل رئيس الحي ، أو اسم الحي ، وقرأ ابن الزبير : « التي لم يخلق » بفتح الياء « مثلها » بنصب اللام أي لم يخلق الله مثلها [٢] » .

ب – « وحدثنا أحمد عن علي عن أبي عبيد عن إسماعيل أن أبا جعفر قرأ « مالاً لُبَـــداً » جمع لابد مثل راكع وركَّع « وفاعل يجمع على خمسة وثلاثين وجهـــاً [٣] » .

جـ – « وحدثني أحمد عن علي عن أبي عبيد أن أبا جعفر يزيد بن القعقاع قرأ : « إن إلينا إيَّابهم » بتشديد الياء ، فقال أبو عبيدة : لا وجه له . قلت : أمَّا فلا ، وجهه أن تجعله مصدر أيَّبَ إيَّاباً مثل كَذَّبَ كِذَّاباً قال الله عز وجل : « فكذبوا بآياتنا كذابا » ، وقال تأبط شراً :

ياعيد مالك من شوق وإرَّاقِ ومرّ طيف على الأهوال طراق [٤] »

إن النصوص وحدها تبرىء ابن خالويه من تهمة وصف **الشواذ بالنكارة** ، ولاتدع مزيداً لقائل . وقبل أن نغادر هذه الفقرة أرجو القارىء أن يعيد النظر

---

(١) أبو الفتح عثمان بن جني ، المحتسب ، القاهرة ، ١٣٨٦ هـ ، ج ١ ص ٣٢، ٣٣

(٢) إعراب ثلاثين سورة ، دار الكتب ،القاهرة ، ١٩٤١ ، ص ٧٧

(٣) المرجع السابق ص ٨٩

(٤) المرجع السابق ص ٧٣

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إلى قول ابن خالويه عن كتابه المشهور بـ **القراءات** : « هـذا كتاب شرحت فيه إعراب قراءات أهل الأمصار ... ولم أعد ذلك إلى ما يتصل بالإعراب من مشكل أو تفسير وغريب ...[١] » وإلى قول د . عبد العال سالم في الفقـــرة الأولى من أدلته لتوثيق كتاب **الحجة** : « فكتابه [يعني كتاب ابن خالويه **القراءات**] في حقيقة أمره كتاب تفسير لاقراءات » ولعل القارىء الكريم ينتهي إلى ما انتهيت إليه من الشك في أن د . عبد العال سالم أمعن في قراءة الصفحة الأولى من مخطوطة كتاب **القراءات** أو البطاقة التي صُدّرت بهـــا المخطوطة ، وأنا على يقين أنه لو فعل لوفر على نفسه جهد توثيق نسبة الحجة إلى الحسين بن أحمد بن خالويه .

ثالثاً ـ عناية ابن خالويه بتوثيق كتبه :

يحرص ابن خالويه على أن يذكر اسمه في كتبه بدءاً أو نهاية ، وفي خلال الأبواب والمسائل ، والقارىء في كتبه يسير في درب نير ، ويعلم يقينـاً ما هو لابن خالويه وماهو لغيره ، ولا يحتاج من يدرس كتبه إلى جهد كبير ليوثق نسبة كتاب إليه ، أو ينفيها عنه ، وها هي النصوص تنطق صراحة بتوثيق كتب ابن خـــالويه :

ا ـ جاء في الصفحة الأولى من كتاب **مختصر في شواذ القرآن** :

« ذكر الخليل بن أحمد في العين أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ كان يقرأ « إياك نعبد ، وإياك نستعينُ » يُشبع الضمة في النون ، وكان عربياً قلباً أي محضاً . قال ابن خالويه : وقد روي عن ورش أنه كان يقرؤها كذلك[٢] » .

---

(١) انظر ماسبق .

(٢) الحسين بن أحمد بن خالويه ، **مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع** ، تحقيق برجستراسر ، القاهرة ، ١٩٣٤ ، ص ١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ب ـ وجاء في آخر كتاب **البديع** :

« قال **ابن خالويه** : هذه أبواب كتبناها في آخر البديع من أصول قراءة القراء ليقرب متناولها ، ويسهل على من أراد حفظها[١] » .

جـ ـ وجاء في أول إعراب أم القرآن من كتاب **إعراب ثلاثين سورة** :

« قال **أبو عبد الله** : وسميت أمّ القرآن لأنها أول كل ختمة ومبتدؤها ، ويسمى أصل الشيء أُمّاً ، قال الله عز وجل : « وإنه في أمّ الكتاب لدينا لعلي حكيم » ، أي في أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ[٢] » .

د ـ وفي الورقة الأولى من كتابه المشهور **بالقراءات** :

« قال **أبو عبد الله** ـ رحمه الله ـ **وحدثني** أبو بكر بن مجاهد قال حدثنا ابن شاكر قال حدثني يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش عن عاصم أنه كان يقرأ بالهمز والمد والقراءة الشديدة ، وكان لا يرى الإمالة والإدغام[٣] » .

هـ ـ وجاء في صدر الجزء الخامس من كتاب « ليس » :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه ثقتي . باب قال : **ابن خالويه** : ليس أحد فرق بين قولك جاء الرجل يتقطقط وبين جاء يتبربس إلا العامري فإنه قال : جاء فلان يتبربس إذا جاء فارغاً . . .[٤] » .

هذا ، وعلى الرغم من شمول هذه الظاهرة جميع ما وقفت عليه من كتب ابن خالويه فقد خلا كتاب **الحجة في قراءات الأئمة السبعة** . . . من ذكر اسم ابن خالويه ، سواء في ذلك صدره ، وخاتمته ، وما بينهما .

---

(١) البديع ، دبلن ، شستربيتي ٣٠٥١ ، ورقة ١٠٦

(٢) القاهرة ، ١٩٤١ ص ١٦

(٣) القراءات ، استانبول ، مراد ملا ٨٥ ، ص ٢

(٤) مخطوطة الجزء الخامس من كتاب ليس ، استانبول ، شهيد علي رقم ٢١٤٣ ورقة ١ (مصورة مصغرة خاصة عن مصورة معهد المخطوطات) تدرس ضمن رسائلي الجامعية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

رابعاً – حرص ابن خالويه على صحبة أساتذته خلال كتبه :

تلمذ الحسين بن أحمد بن خالويه لأبي بكر بن مجاهد في **القراءات** ، كما تلمذ في اللغة والنحو لابن دريد ومحمد بن القاسم الأنباري ، وأبي عمر الزاهد الملقب غلام ثعلب ، وأبي عبد الله إبراهيم بن عرفة الملقب نفطويه ، وغيرهم من أعيان القرن الرابع ، وهو حريص أن يظل في صحبة هؤلاء الأعيان خلال فصول كتبه يروي عنهم بأسنادهم إلى أئمة سبقوهم ، ويحكي عنهم ما قالوه في مجالسهم ، وما حدثوه هو به :

ا – يحكي ما سمعه من ابن مجاهد في قصر القراءة على المشهور ، فيقول :

« ... وهذه الوجوه الأربعة في « الحمدُ » وإن كانت سائغة في العربية **فإني سمعت ابن مجاهد يقول** : « لا يقرأ بشيء من ذلك إلا بما عليه الناس في كل مصر « الحمدُ لله » بضم الدال وكسر اللام[1] » .

ب – وينقل إلينا ما أخبره به ابن دريد في قلب الصاد زاياً .

« **أخبرني ابن دريد** عن أبي حاتم قال : اختلف اثنان في السقر والصقر ، فقال أحدهما بالسين ، وقال الآخر بالصاد ، فسألت أعرابياً : كيف تقول أبالصاد أم بالسين ؟ فقال أما أنا فأقول بالزاي . وأنشد ابن دريد في مثله :

ولا تهيبني المومأة أركبها إذا تجاوبت الأزداء بالسحر

أراد الأصداء[2] » .

ج – ويروى عن أبي عبد الله النحوي ، وهو إبراهيم بن عرفة نفطويه – شاهداً على أن من معاني البت الطيلسان :

« ... وأما البت فالفرد، حج فلان حجاً بتاً أي فرداً ، والبتُّ : القطع ،

(١) إعراب ثلاثين سورة ، ص ١٩

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٩

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بت يبته بتا الحبل والغضا ، والبت: الكساء ؛ والبت : الثوب الواحد،وأنشد:

يا رب بيضاء عليها بتّ

والبت : الفرد من كل شيء ، والبت : الطيلسان الأخضر ، ويسمى الساج والسُّدوس ، ثلاثة أسماء ، **وأنشدنا أبو عبد الله النحوي** :

يطول اليوم إن شطّت نواها ... وحَوْلٌ نلتقي فيه قصيرُ
إذا اعتل الصحيح وقلت كادت ... هوادي النجم تخفُقُ أو تغور
كأن المسك والكافور صرفا ... على أنيابها أرجٌ يفور
كأن سحابةً غراء لاحت ... لنا في البتّ إذهتك الستور[1]»

د ـ ويخبر بما سمعه من كل من ابن مجاهد ، وابن الأنباري حول إحدى القراءات :

«(فأن له نار جهنم)» بالفتح طلحة ، **وسمعت ابن مجاهد يقول** ما قرأ بهذا أحد وهو لحن،لأنه بعدفاء الشرط ، **وسمعت ابن الأنباري يقول** : هوصواب، ومعناه : ومن يعص الله ورسوله فجزاؤه أنّ له نار جهنم[2] » .

هذا هو الحسين بن أحمد بن خالويه الذي أخذ العلم من أفواه أشياخه في مجالسهم فحكى عنهم ، وروى ما قالوه ، أما الحسين بن خالد صاحب كتاب الحجة ، فلم يقل لنا إنه سمع من شيخ ، ولم يرو لنا خبراً عن عالم ، ولم يحدثه واحد من أعلام القرن الرابع بحديث ، فإن قال قائل إن صاحب الحجة صرح بأنه قصد الإبانة في اقتصار من غير إطالة ولا إكثار ، فلا عليه إن حذف الأسناد والأخبار ـ قلنا إن ابن خالويه قال في كتابه **القراءات** :وإنما اختصرته

---

(١) كتاب ليس الجزء الخامس ، إستانبول ، شهيد علي ، رقم ٢١٤٣ (مصورة خاصة) ورقة ١١ ، ١٢

(٢) **مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع** ،القاهرة ، ١٩٣٤ م ، ص ١٦٣ ، سورة الجن آية ٢٣ ، وأيضاً حواشي البديع دبلن ، شستربيتي ، رقم ٣٠٥١ ورقة ٩٤

(٣) **الحجة في القراءات السبع** ، بيروت ١٩٧١ ، ص ٣٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جهدي ليستعجل الانتفاع به المتعلم ، ويكون تذكرة للعالم[١] » وهو في هذا الكتاب لم يهمل سنداً ، ولم يرو قراءة غير موصولة بإمامها ، وأيضاً فقد أملى ابن خالويه **إعراب القرآن** ثم أملى **إعراب ثلاثين سورة** ، وأخبار شيوخه في الكتاب الثاني فاشية كثيرة . فكيف نتصور أن ابن خالويه يسكت عن ذكر شيوخه ، ويهمل إسناد رواياته في كتاب كامل ؟

خامساً ـ الاختلاف في المصطلح والتعبير :

يقول د . عبد العال سالم : « . . . ولعله من الجائز أن كتاب **القراءات** أسبق في التأليف من كتاب **الحجة** ثم لخص هذا الكتاب ، وهذبه ، وجعله مقصوراً على القراءات وحدها . . .[٢] » .

غير أن الناظر في الكتابين يجد بينهما اختلافاً بيّنا في المصطلح ، وفي التعبير سبكاً وإحكاماً ، وفي أدب التناول لقراءات الأئمة :

يقول الحسين بن أحمد بن خالويه :

« . . وقوله ـ تعالى ـ «بالغداة والعشي[٣]» قرأ ابن عامر وحده «بالغُدوة والعشي» وإنما حمله على ذلك لأنه وجده بالمصحف بالواو[٤] ، وإنما كتبت بالواو كما كتبت الصلوة بالواو ، وإنما لم يكن ذلك الوجه لأن غداة نكرة ، وغُدوة معرفة ، ولا يستعمل بالألف واللام ، ومراد الله تعالى ـ والله أعلم ـ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي أي غداة كل يوم . نزل ذلك في فقراء أصحاب رسول الله ﷺ[٥] . »

---

(١) القراءات ، استانبول ، مراد ملا ٨٥ (نسخة خاصة) ص ١ ، ٢

(٢) الحجة في القراءات السبع ، بيروت ١٩٧١ ، ص ٢٣

(٣) سورة الأنعام آية ٥٢

(٤) هذا التعليل منقود، انظر البحر المحيط، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٢٩ هـ ج ٤ ، ص ١٣٦

(٥) القراءات ، استانبول ، مراد ملا ٨٥ ، ص ١١٠ .

هدية مجمع اللغة الغربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أما ابن خالد صاحب الحجة فيقول :

« قوله – تعالى – « بالغداة والعشي » يقرأ بالألف ، وبالواو في موضع الألف مع إسكان الدال هاهنا وفي الكهف ، فالحجة لمن قرأه بالألف أنه حذا ألفاظ العرب وما تستعمله في خطابها إذا قالوا : جئتك بالغداة والعشي ، وإنما كان ذلك الاختيار لأن قولهم : (غداة) نكرة ، فإذا عرفت بالألف واللام جاءت مطابقة للعشي ، فاتفقا بالتعريف بالألف واللام ؛ والحجة لمن قرأه بالواو أنه اتبع الخط لأنها في السواد بالواو ، وليس هذا بحجة قاطعة ، لأنها إنما كتبت بالواو كما كتبت (الصلاة) و (الزكاة) و (الحياة) . ودل على ضعف هذه القراءة أن غدوة إذا أردت بها غدوة يومك فلا تستعمل إلا معرفة بغير ألف ولام كما استعملوا ذلك في (سحر) ، وما كان تعريفه من هذا الوجه فدخول الألف واللام عليه محال ، لأنه لا يعرف الاسم من وجهين وإنما جاز في الغداة لأنه لم يقصد به قصد غداة بعينها فتعرفت بالألف واللام كما تعرف العشي لأنها مجهولان غير مقصود بهما وقت بعينه ؛ والحجة له أنه أراد أن العرب قد تجعلها نكرة في قولهم : (لدن غدوةً) كما يقولون عشرون درهماً فعرفها على هذا اللفظ بالألف واللام[1] . »

فابن خالويه . يقول : « ... لأنه وجده بالمصحف بالواو... » أما ابن خالد صاحب **الحجة** فيقول : « ... لأنها في السواد بالواو ... » فمصطلح **السواد** مراداً به المصحف لم أقع عليه ولو مرة واحدة خلال صفحات كتب ابن خالويه المشهور منها وغير المشهور على الرغم من محاولة نسبة بدْع هذا المصطلح إليه[2] . وابن خالويه يعرف قدر ابن عامر ، ويعرف كيف ينتقي كلماته للتعليق على قراءة إمام جليل مثله فيقول : « ... وإنما لم يكن ذلك الوجه ...) أما ابن خالد

---

(١) **الحجة في القراءات السبع** ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ١١٥

(٢) الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي ، **أبو علي الفارسي** .. ، القاهرة ، ١٩٥٦م ص ٣١٥ و **رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات** ، القاهرة ، ١٩٦٠ م ، ص ٦٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فلا يتحرج أن يقول : « ... ودل على ضعف هذه القراءة ... » . وابن خالويه يكتفي بالإلماح إلى خطأ الاحتجاج لقراءة « الغُدْوَةِ » برسم « الغَدَوٰة » في في المصحف بالواو ، فيقول : « ... وإنما كتبت بالواو كما كتبت (الصلوٰة) بالواو أما ابن خالد فيشير إلى خط المصحف قائلًا : « وليس هذا بحجة قاطعة ... »، وابن خالويه مقل « مدل » في تمثيله فيكتفي بمثال (الصلوٰة) ، أما ابن خالد فيسرف في التمثيل بـ (الصلوٰة) و (الزكوٰة) و (الحيوٰة) [1] جميعاً ، وفي الأولى وحدها غنىً عن أختيها ، وعبارة ابن خالويه مستقيمة النهج خالية من شبهة التناقض ، أما عبارة صاحب **الحجة** فلم تسلم من آثار هذه الشبهة ، فبعد أن قال : « ... فدخول الألف واللام عليه محال » عاد فقال : « ... والحجة له أن العرب قد تجعلها نكرة في قولهم : (لدن غدوة) كما يقولون (عشرون درهماً) » . ولعل الفرق بين النصين من حيث سبك الأسلوب وقوة إحكامه واضح ظاهر فشتان مابين الأسلوبين وما بين صاحبيهما من التباين في القدرة على الإحاطة بالمسائل وإحكام التعبير عنها .

سادساً - من أين أخذ صاحب الحجة ألفاظه وعلله ؟

ترجم صاحب الحجة عن ألفاظ القدماء وعللهم ، ولكنه لم يصرح باسم واحد منهم ، والحق أن من اليسير على من يقارن ما جاء في الحجة بنصوص كتاب ابن خالويه - **القراءات** - أن يتبين أن معظم ألفاظ كتاب **الحجة** وعلله منقول عن هذا الكتاب ، وأظن أن مما يسر لصاحب الحجة الأخذ من كتاب ابن خالويه أنه عرفه بعنوانه كاملًا : **كتاب إعراب القراءات السبع وعللها** [2] فسارع إلى الأخذ منه ما وسعه إذ وجده نصاً في الغرض الذي أراد أن يؤلف فيه ،

---

(١) رسمت هذه الكلمات الثلاث في مطبوع الحجة بالألف .

(٢) القراءات ، مراد ملا ٨٥ ، الجزء الثاني ، ص ٢٩٦ ، ولعل عنوان الأصل كان إعراب قراءات أهل الأمصار كما جاء في مقدمة المصنف ص ١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهو الاحتجاج للقراء السبعة ، ولعل النصوص التالية تقرب هذه الدعوى من الصدق :

ا ــ جاء في « القراءات » من سورة العلق :

« وقوله ــ تعالى ــ « أن رآه استغنى » فيه أربع قراءات ..... والقراءة الرابعة قراءة ابن كثير في رواية قنبل أن رَأَهُ على وزن رَعَهُ قال ابن مجاهد هو غلط لأنه حذف لام الفعل التي كانت ألفاً مبدلة من الياء . ويجوز أن الذي سمع ابن كثير يقرأ هذا الحرف لم يضبط عنه ، ولا ترجم عنه باستواء ، وكانت قراءاته أن راءه استغنى بتقديم الألف على الهمزة ، ثم تخفف الهمزة فتحذفها لالتقاء الساكنين ، وهذه لغة مشهورة ، تقول العرب راءني وشاءني ، وأنشد :

[وكل خليل] راءني [فهو قائل] من اجلك هذا هامة اليوم أوغد[1]

وقال آخر :

[. . .[2]] الفؤاد حتى كأني شاربٌ عُلَّ من رحيق مدام

أو وليدٌ معلل راء رؤيا فهو يهذي بما يرى في المنام

فهذا أشبه بقراءة الأئمة من أن يُغلط ، لأن القرأة والأئمة يختار لهم أو يحتج لهم لا عليهم [3] » .

وجاء عن القراءة نفسها في كتاب الحجة :

« قوله ــ تعالى ــ « أن رآه استغنى » ... وروى قنبل هذا الحرف عن ابن كثير (رأه) بفتح الراء والهمزة والقصر على وزن (رَعَهَ) . قال ابن

---

(١) ما بين الحاصرتين لم يرد في الأصل ، وانظر لتمام البيت أحمد راتب النفاخ ، فهرس شواهد سيبويه ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ٨١ ؛ وأبو بشر سيبويه ، الكتاب ، بولاق ، ١٣١٧هـ ، جـ٢ ، ص١٣٠

(٢) لم أستطع قراءة مابين الحاصرتين ، ولعل الله ينتدب لمن يسعف بالتمام .

(٣) القراءات ، إستانبول ، مراد ملا ٨٥ ، ص٦٢٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مجاهد لا وجه له ، لأنه حذف لام الفعل التي كانت مبدلة من الياء . وقال بعض أهل النظر أحسن أحوال ابن كثير أن يكون قرأ هـذا الحرف بتقديم الألف التي بعد الهمزة ، وتأخير الهمزة إلى موضع الألف ، ثم خفف الهمزة ، فحذف الألف لالتقاء السـاكنين ، فبقي « راه » بألف ساكنة غير مهموزة إلا أن الناقل لذلك عنه لم يضبط لفظه به . هذه لغة مشهورة للعرب يقولون في (رآني) (راءني) وفي (سألني) (ساءني) . قال شاعر هذه اللغة :

أو وليـــد معلل راء رؤيا فهو يهذي بما يرى في المنام»[1]

ومن اليسير أن نتبين أن صاحب الحجة أخذ تعليل ابن خالويه ، ومعظم ألفاظه ، واكتفى بأن يضيف كل ذلك إلى « بعض أهل النظر » ، ومحـال أن ينسب ابن خالويه تعليله هو إلى مجهول . وأيضاً نلاحظ أن ابن خالويه لم يُسلّم لابن مجاهد تغليطه ابن كثير ، وأنه ختم تعليله بعبارة لا تخلو من لوم أستاذه : « ... فهذا أشبه بقراءة الأئمة من أن يُغلط ، لأن القراءة والأئمة يختار لهم ، أو يحتج لهم لا عليهم » ، وقد صنع كثير من أعيان القرن الرابـع وغيرهم مثل الذي صنعه ابن خالويه ، فماظـوا ابن مجاهد على تغليطه الأئمة من القراء[2] ، أمـا ابن خالد صاحب الحجة فقد استكثر أن يخوض هذه المحاجّة مع ابن مجاهد ، ولو عاصر أهل القرن الرابـع لفرى فريهم ، أمـا نقل ابن خالد عن ابن مجاهد في نصه فهو أشبه بنقل ابن الجزري والدمياطي صاحب **إتحاف فضلاء البشر** عن ابن مجاهد لا يوحي بأوهى صلة بين الناقل والمنقول عنه .

ب – جاء في **القراءات** من سورة فاتحة الكتاب .

« وقوله : «أنعمت عليهم » قرأ حمزة وحده (أنعمت عليهُم) بضم الهاء وجزم الميم ، وكذلك (إليهُم) و (لديهُم) وهي لغة رسول الله ﷺ ، وإنما

(١) **الحجة في القراءات السبع** ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٣٤٥–٣٤٦

(٢) ابن جني ، **المحتسب** ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ جـ١ ص٦٦–٧١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ضم (الهاء) في أصل الكلمة قبل أن يتصل بها (على) كما تقول : (هم) ، فلما دخلت (على) فقلت (عليهم) بقيت على حالها . قال ابن مجاهد : إنما خص حمزة هذه الثلاثة الأحرف بالضم دون غيرهن ، أعني (عليهم ، ولديهم وإليهم)، من بين سائر الحروف لأنهن إذا وليهن ظاهر صارت ياءاتهن ألفات ، ولا يجوز كسر الهاء إذا كان قبلها ألف ، فعامل الياء مع المكنيّ معاملة الظاهر ... فإذا صارت ألفا لم يجز كسر الهاء ...[١] » .

وجاء عن القراءة نفسها في كتاب « الحجة » :

«قوله ـ تعالى ـ « عليهم »... ... والحجة لمن ضم الهاء أنه أتى بها على أصل ما كانت عليه قبل دخول حرف الخفض عليها[٢] » .

لقد أقام د . عبد العال سالم دليله الثاني لتوثيق نسبة كتاب **الحجة** لابن خالويه على أن ابن خالويه نفسه أشار إلى كتاب **الحجة** في كتابه إعراب ثلاثين سورة حيث قال : « أجمع القراء على كسر الهاء في التثنية ، إذا قلت (عليهما) قال الله – عز وجل ـ « يخافون أنعم الله عليهما » إلا يعقوب الحضرمي فإنه ضم الهاء في التثنية كما ضمها في الجمع . وقد ذكرت علة ذلك في كتاب القراءات» ثم أردف د : عبد العال قائلًا : وفي كتابه الحجة نجد هذا التعليل الذي أشار إليه ، ثم أرشد القارىء إلى مكان سورة فاتحة الكتاب[٣] . ولكننا نلاحظ في النصين السابقين أن كتاب **القراءات** لابن خالويه تضمن أصل هذه العلة في صيغتين : الأولى موجزة ، والثانية مفصّلة منسوبة لابن مجاهد مما يؤكد أن كتاب **القراءات** هو الذي عناه ابن خالويه حيث أحال إليه في كتابه **إعراب**

---

(١) القراءات ، إستانبول ، مراد ملا ٨٥ « نسخة خاصة » ص٥٣

(٢) الحجة في القراءات السبع ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص٣٩

(٣) المرجع السابق ، ص ١٨ ، وأيضاً إعراب ثلاثين سورة ، دار الكتب : ١٩٤١ ، ص٣٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثلاثين سورة . أما ابن خالد صاحب **الحجة** فقد عمد إلى صيغة العلة الموجزة فزادها إيجازاً ثم طبعها بأسلوبه الذي لاينم عن ثقافة لغوية ذات أصل ثابت .

سابعاً ـ من أي نسخ القراءات أخذ صاحب الحجة ؟

جاء في مقدمة د . عبد العال سالم لكتاب « الحجة » الفقرة التالية ذات العنوان العجيب :

« قراءات لم ترد إلا عن طريقه :

وذلك في « قوله ـ تعالى ـ : « فله عشر أمثالها » **يقرأ بالتنوين ونصب الأمثال** وبطرحه والخفض ، فالحجة لمن نصب أن التنوين يمنع من الإضافة ، فنصب على خلاف المضاف ... ...[1] » ويعلق د. عبد العال قائلًا : «وليس في كتب القراءات التي بين أيدينا إلا حذف التنوين وجر اللام بالإضافة ، وهي قراءة جميع القراء في الأمصار ما عدا «الحسن البصري » فإنه كان يقرأ (عشرٌ) بالتنوين ، وأمثالها بالرفع ، وذلك وجه صحيح في العربية غير أن إجماع قراء الأمصار على خلافهـــا . **أما رواية التنوين والنصب فلم أجدها إلا عند ابن خالويه**[2] » .

ولكنا نقول إن إجماع الأمة منعقد على أن القراءة سُنةٌ يأخذها آخرٌ عن أول ، وليس لابن خالويه أن يأتي بشيء من القراءات لم يأت به غيره . ولقد ذكر أسانيده لقراءات السبعة في صدر كتابه **القراءات**[3] ، ومن اليقين أن كثيرين غيره قد أخذوا عن شيوخه ، فكيف نصدق أنه ينفرد بقراءة « عشرٌ أمثالها » بالتنوين ونصب الأمثال »؟ الله يعلم أن ابن خالويه برىء مما نسب إليه ،

---

(١) الحجة في القراءات السبع ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص٣١ ، ١٢٨

(٢) المرجع السابق .

(٣) القراءات ، مراد ملا ٨٥ ، ص٦ وما بعدها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فكتابه **القراءات** لم يتضمن ما قيل إنه قراءة (**التنوين ونصب الأمثال**) بين قراءات سورة الأنعام[١] وكتابه **البديع** وهو في قراءات الثمانية خال من ذكر ذلك[٢] أما **حواشي البديع** ففيها قراءة (التنوين والرفع) « عشرٌ أمثالُها » مسندة إلى الحسن[٣] فمن أين جاء ما زعم أنه قراءة « عشرٌ أمثالَها » (بالتنوين ونصب الأمثال) ؟

وحيث إني على يقين أن كتاب ابن خالويه **القراءات** هو المصدر الأول لصاحب **الحجة** ـ أخذت أقلب صفحات هذا السفر الكبير فوجدت في سورة براءة ما يلي : « ... قال أبو عبد الله : وقد تأملت كتاب الله فوجدت فيه مائة وخمسين حرفاً مما ينون ولا ينون وسأذكرها جملة... فأول ذلك في سورة البقرة: قرأ زهير الفرقبي : « لا ريبٌ فيه ..... وفي الأنعام أيضاً قرأ الحسن : « فله عشرٌ أمثالَها ...[٤] » هكذا جاءت لفظة (أمثالها) مضبوطة بفتح اللام غير منصوص على الضبط بالعبارة . ولكن ابن خالويه نسب القراءة للحسن ، ونصوص ابن خالويه يصوب بعضها بعضاً ، فلام (أمثالها) مضبوط بالضم في كتاب **مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع** ، وهو كذلك في حواشي مخطوطة **البديع** . أما أبو البقاء العكبرى في كتابه **إعراب القراءات الشواذ** فيقول : «عشرُ أمثالِها» بالإضافة وهو المشهور، ويقرأ « عشرٌ بالتنوين أمثالُها بالرفع على أنه بدل من عشر[٥] » ، وكذلك عامة مصادر القراءات :

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٢٢

(٢) شستربيتي ، ٣٠٥١ ، دبلن ، ورقة ٢٨

(٣) المرجع السابق ، ورقة ٢٩/ا ، وانظر أيضاً **مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع** ، القاهرة ، ١٩٣٤ ، ص٤١ ، وأيضاً مخطوطة الحميدية رقم ٢٤ « أحد أصلي منشورة برجستراسر» ورقة ١٩/ب« مصورة مصغرة خاصة بوساطة معهد المخطوطات».

(٤) القراءات ، مراد ملا ٨٥ ، ص ١٦٨-١٧٠

(٥) مخطوطة دار الكتب ، تفسير ١٠٧ ، ورقة ١٩/ب « نسخة مصورة مصغرة خاصة بوساطة معهد المخطوطات) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فأبو جعفر الطبري (٣١٠ هـ) يقول : « وقد ذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأ ذلك « فله عشرٌ » بالتنوين ، « أمثالُها » بالرفع ...[١] » وأبو جعفر النحاس (٣٣٨ هـ) يقول : « وقرأ سعيد بن جبير ، والأعمش : « فله عشرٌ أمثالُها » وتقديره فله حسنات عشرٌ أمثالُها[٢] ». ومكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ)يقول: «ومن نون عشراً ـ وهي قراءة الحسن ، وابن جبير ، والأعمش ـ قدره : فله حسناتٌ عشرٌ أمثالُها[٣] ... » . وأبو القاسم الزمخشري (٥٣٨ هـ) يقول : « وقرىء عشرٌ أمثالُها برفعها جميعاً على الوصف[٤] » . والفضل بن الحسن الطبرسي (٥٤٨هـ) يقول : «قرأ يعقوب « عشرٌ » منون « امثالها » برفع اللام ، وهي قراءة الحسن ، وسعيد بن جبير ... »[٥] .وأبو البركات بن الأنباري (٥٧٧ هـ) يقول : « ... فمن قرأ بالتنوين كان « عشر » مبتدأ و « أمثالها » صفة له ... [٦] » . وعبد الرحمن بن الجوزي (٥٩٧ هـ) يقول : « ... وقرأ يعقوب والقزاز عن عبد الوارث : « عشر » بالتنوين ، « أمثالها » بالرفع [٧] » وفخر الدين الرازي (٦٠٦ هـ) يقول : « ... ويقوي هذا قراءة من قرأ « عشر أمثالها » بالرفع والتنوين [٨] » . وأبو عبد الله محمد

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الجزء الثامن ، القاهرة ، ١٩٥٤ م ، ص ١١٠

(٢) إعراب القرآن ، مخطوطة مكتبة فاتح باستنبول رقم ٨٨ ، ورقة ١/٧٣ (مصورة مصغرة خاصة بوساطة معهد المخطوطات) .

(٣) مشكل إعراب القرآن ، مخطوطة المدينة رقم١٩٣ ، ورقة ٥٧/ب ، «مصورة مصغرة خاصة بوساطة معهد المخطوطات) .

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل ، جـ٢ القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص٦٤

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن ، جـ٣ ، ١٣٧٩ هـ ، ص ٣٨٩

(٦) البيان في غريب إعراب القرآن ، جـ١ ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص٣٥٠

(٧) زاد المسير في علم التفسير ، جـ٣ ، دمشق ، ١٩٦٥ م ، ص١٥٩

(٨) مفاتيح الغيب ، القاهرة ، ١٢٧٨ هـ ، جـ٣ ، ص١٨٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

القرطبي (٦٧١ هـ) يقـول : « وقرأ الحسن ، وسعيد بن جبير ، والأعمش : « فله عشر أمثالها » والتقـدير : فله عشر حسنات أمثالها ... [١] » . وأبو حيان الأندلسي (٧٥٤ هـ) يقول : « وقرأ الحسن ، وابن جبير ، وعيسى بن عمر ، والأعمش ، ويعقوب ، والقزاز عن عبدالوارث : « عشر » بالتنوين ، « أمثالها » بالرفع على الصفة لعشر ... [٢] » .

وناصر الدين الشيرازي البيضاوي (٧٩١ هـ) يقول : « ... وقرأ يعقوب : « عشر » بالتنوين ، و « أمثالُها » بالرفع على الوصف . . » [٣] .

وأبو الخير محمد بن الجزري (٨٣٣ هـ) يقول : « واختلفوا في عشر أمثالها » فقرأ يعقوب « عشرٌ » بالتنوين و « أمثالُها » بالرفع ، وقرأ الباقون بغير تنوين وخفض « أمثالها » على الاضافة [٤] » .

هكذا أجمع الأئمة السابق ذكرهم ومعهم الحسين بن أحمد بن خالويه ، وأبو البقاء العكبري على تشكيل لام « أمثالُها » بالضم في القراءة غير المشهـورة ، « عشرٌ أمثالُها » ، ولم يذكـر واحد منهم مايسمى بقراءة (التنوين ونصب الأمثال) (عشرٌ أمثالَها) . غير أني وجدت محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠ هـ) يذكر (التنوين ونصب الأمثال) على أنه مما يجوز في النحو فيقول ، « يجوز في قوله « فله عشر أمثالها » ثلاثة أوجه : أحدها الإضافـة ، وعليه جميـع القراء إلا يعقوب ؛ ورفع « أمثالُها » مع التنوين على الصفة ، وبه قرأ الحسن ويعقوب ؛ ونصبه على التمييز كما تقـــول عندي خمـة أثواباً [٥] . ذكر ذلـك الزجاج

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، جـ٧ ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص١٥١

(٢) البحر المحيط ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٣٢٩هـ ، جـ٤ ، ص ٢٦١

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، القاهرة ، ١٣٣٠ هـ ، جـ٢ ، ص٢١٦

(٤) النشر في القراءات العشر ، القاهرة ، مطبعة مصطفى محمـد ، جـ٢ ، ص ٢١٦-٢١٧

(٥) لعل الصواب « أثواباً » انظر نص « الفراء » التالي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والفراء[١]» ، وأيضاً عبارة الفراء تؤكد أن نصب لام «أمثالها» مما يجوز في النحو وليس قراءة فهو يقول: «... ومن قال: (عشرٌ أمثالها) جعلهن من نعت العشر ... ولو قلت (عشرٌ أمثالها) كما تقول عندي خمسةٌ أثواب[٢] لجاز.[٣]» وعلى الرغم مما أصاب عبارة الفراء الأخيرة من التحريف وما حرمته من تمام التحرير فهي مصدرة بـ (لو) ومختومة بـ (لجاز) .

بناء على ماتقدم أكاد أجزم أن تشكيل لام (أمثالها) بالفتح في كتاب ابن خالويه **القراءات** – كان من سهو ناسخ مخطوطته اليتيمة ، ولعل ابن خالد مؤلف كتاب **الحجة** ، وقع على هذه العبارة المحرفة فتلقفها من غير أن يتبين أن الصواب رفع اللام ، ثم أضافها إلى كتابه وهو في الاحتجاج للقراء السبعة مع أن قراءة تنوين راء « عشرٌ » من الشواذ ! ولعل الذي أغرى ابن خالد صاحب **الحجة** بذلك أن ابن خالويه لم يفرق بين الشاذ وغير الشاذ عندما ذكر المائة والخمسين حرفاً ضمن إعرابه قراءات سورة التوبة في كتابه ذي العنوان **إعراب القراءات السبع وعللها** ، والذي اشتهر بـ **القراءات** .

ولن يؤيد مذهب صاحب كتاب **الحجة** ما أتانا به صاحب **إتحاف فضلاء البشر** الشيخ أحمد الدمياطي الشهير بالبنّاء (١١١٧ هـ) حيث قال « واختلف في « فله عشر أمثالها» ، فيعقوب: عشرٌ بالتنوين أمثالها بالرفع صفة لعشر ؛ وعن الأعمش: عشر بالتنوين أمثالها بالنصب ؛ والباقون : عشر بغير تنوين أمثالها بالخفض على الإضافة[٤]» ، فالدمياطي – على تأخره – لم يبين لنا مصادره لقراءات من

---

(١) تفسير التبيان تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي ، المجلد الرابع ، النجف الأشرف ١٩٦٠ ص ٣٥٦

(٢) الصواب (أثواباً) بالنصب انظر نص الطوسي السابق ، فالتمييز يقتضي النصب.

(٣) معاني القرآن ، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ، جـ١ ، دار الكتب، ١٩٥٥ م ، ص ٣٦٦–٣٦٧

(٤) إتحاف فضلاء البشر في قراءات الأربعة عشر ، القاهرة ، ١٣٥٩ هـ ، ص ٢٢٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

زادوا على العشرة ، وهم ابن محيصن واليزيدي والحسن والأعمش [١] . وهو أيضاً – على تأخره – محاجٌ بسكوت الأئمة السابق ذكرهم عن (التنوين ونصب الأمثال) في (عشر أمثالها) ؛ وبإيراد بعضهم (التنوين ونصب الأمثال) في معرض مايجوز في النحو ؛ وهو – بعد كل ذلك – ذكر (التنوين ونصب الأمثال) في القراءات الشاذة وليس في قراءات السبعة كما فعل ابن خالد صاحب كتاب **الحجة في قراءات الأئمة** ! !

ولعل نقل صاحب **كتاب الحجة** نصوص الكتب من غير أن يتبنيها هو السبب في عجزي عن العثور على ترجمته بين تراجم المشتغلين بعلوم القرآن واللغة ولقد جهدت في محاولة ذلك .

وإذا صح ماظننته من أن صاحب **كتاب الحجة** نقل مايسمى قراءة (التنوين ونصب الأمثال) عن النص المحرف لمخطوطة مراد ملا من كتاب **القراءات** – أصبحنا في شك مريب من تاريخ مخطوطة **كتاب الحجة** وهو ٤٩٦ هـ [٢] لأن مخطوطة مراد ملا ٨٥ « كان الفراغ من نسخها في يوم السبت وقت صلاة الضحى في آخر شهر ذي القعدة من شهور سنة ستمائة » [٣] ، ويزيدنا شكاً في ذلك أن مخطوطة **الحجة في قراءات الأئمة** اليتيمة ظاهرة الحداثة [٤] .

ثامناً – الزبيدي وابن خالويه :

لعل أهم مابقي من أدلة د. عبد العال سالم لتوثيق نسبة كتاب **الحجة** إلى الحسين بن أحمد بن خالويه – أن السيد محمد مرتضى الزبيدي صاحب **تاج العروس**

---

(١) المصدر السابق ، ص٤

(٢) الحجة في القراءات السبع ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص٣٦

(٣) القراءات ، استانبول ، مراد ملا ٨٥ ، ص ٦٤٨

(٤) الحجة في القراءات السبع ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٣٣–٣٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من جواهر القاموس ـ اعتمد كتاب **الحجة** مصدراً من مصادر معجمه [١] ، ويبدو لي أن سبب ذلك يرجع إلى أن الزبيدي لم يعرف ابن خالويه كما كان ينبغي له، ويقوي ماأزعم أن الزبيدي نص في مصادره على **فصيح ثعلب** وشروحه الثلاثة لأبي جعفر الليلي، وابن درستويه ، والتدميري ، ولم يعتمد **شرح الفصيح** لابن خالويه ، ولو اطلع عليه لفعل ، ولقد قبس الزبيدي بعض نصوص كتاب **ليس** لابن خالويه [٢] ، واقتضته أمانته ألا يذكره في مصادره ، وغالب ظني أنه لم يعاين الكتاب وإنما نقل عن كتاب **المزهر** للسيوطي [٣] ، ولو عاين الزبيدي مجلدات كتاب **ليس** الخمسة لنثر ذخائرها في معجمه ، ولو اطلع الزبيدي على **شرح مقصورة ابن دريد** ، **وإعراب القراءات السبع وعللها** ، **وإعراب ثلاثين سورة** ، وغيرها من مؤلفات الحسين بن أحمد بن خالويه ـ لاتخذها مصادر لمعجمه ، ولربما تولى هو نفسه نفي نسبة كتاب **الحجة في قراءات الأئمة** عن ابن خالويه .

وبعد ، فلعلي قاربت الصواب فيما قدمت ، ولعل الله ينتدب لمن ينهض فيسدد رأياً أو يقيل من عثرة . وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه انيب .

منشستر ـ بريطانيا

صبحي عبد المنعم سعيد

(١) تاج العروس من جواهر القاموس ، الكويت ، الجزء الأول ـ تحقيق عبد الستار فراج ، ١٩٦٥ ، ص٦

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس ، مادة « السحر » ، وقد أرشدني الى هذا القبس الأستاذ عبد الستار فراج في رسالة خاصة ، فله الشكر .

(٣) المصدر الأسبق ، ص٧ ، و المزهر ، للسيوطي ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ج٢ ، ص ٧٩

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net